تأبين الكاظمي

للشاعر الفيلسوف جميل صدقي الزهاوي

صدق النعيُ ومات عبد المحسن ... يا شعر أبّنه ويا نفس احزني

يا شعر أنت ومحسنٌ قد كنتما ... عمراً رفيقيْ غربةٍ وتوطّن

قد عشتما في كل منزلة معا ... كالفرقدين اللامعين وأحسن

أو زهرتين ولا أراني داريا ... أشفقتُ بالنسرين أم بالسوسن

حتى احتوته يدُ المنايا بغتة ... بمخالبٍ معقوفةٍ كالمحجن

لمن الزعامة في القريض ومن لها ... بعد الحفيّ الشاعر المتفنّن

ملأت قصائدُه القلوبَ حماسةً ... من بعد ما شغلت جميع الألسن

شعرٌ يكاد يسيل منه لفظُه ... مثل الندى من رقةٍ فيهزّني

شعرٌ إليه بفعل مغناطيسه

في السمع تنجذب القلوب وتنحني

العبقريةُ فيه مُعترَفٌ بها ... من ذا يسيء ظنونه في المحسن ؟

شيخ القريض قضى فكان عليه لي

حزنٌ بعيدٌ غورُه قد مضّني

في كل قطر أبّنته عصبةٌ ... ما كلُّ من لاقى الردى بمؤبّن

بكت العروبة في الجزيرة محسنا ... ماموتُ شاعرها الكبير بهيّن

فقدت فأوجع قلبَها فقدانُها ... منه فتًى شهماً كريم المعدن

مات الذي كانت به معتزّةً ... يا رب إن الخطب جلّ فهوّن

قد كان في كل المواقف واثقاً ... بالنفس شأن الشاعر المتمكن

دفنوه في ملحودة وخياله ... في أعيني فكأنه لم يُدفن

ما كان للآداب إلاّ روضةً ... ما شئتَ من زهرٍ حوته تجتني

* * *

مَن للغريب قضى وكان موليا ... للطرف عند الموت شطرَ الموطن

قد ودّ لو أن المنيّة أمهلت ... وإليه عيدَ به قريرَ الأعين

لكنها قد أعجلته بضربةٍ ... من كفها في وثبةٍ من مكمن

الشعرُ أسمع شاجياً خفقاته ... فكأنه أنّات قلبٍ مُثخَن

يا شعر أنت من الفجيعة مؤلَمٌ ... وأرى الأسى بجبينك المتغضّن

بيني وبينك في الحياة وشيجةٌ ... وجميعُ ما هو محزنٌ لك محزني

يا شعر بعد الناثرين دموعَهم ... إن كان عندك ما تبثّ فبيّن

ما أكبر الأخلاقَ في نفس امرئ

إن خاشنته الناسُ لم يخشوشن

* * *

قد عاش عيشاً والحياةُ مُلحّةٌ ... ما كان بالمُغني ولا بالمسمن

من ديدن الشرق احتقار ذوي النهى

والشرق ليس مُغيّراً للديدن

الكاظميّ قد اعتنى ببلاده ... وبلاده بحياته لم تعتن

لو كان يحظى في العراق ببلغةٍ ... ما سار يقصد مصرَ عبد المحسن

بلدٌ به بخلاف ما في غيره ... شبع الدخيلُ وأُسغب ابن الموطن

* * *

للمرء في الأرض الفضاء مساكنٌ ... أنّى مضى والقبرُ آخر مسكن

والموت فوق جنادل وصفائح ... كالموت حُمّ على فراش لين

لا تسألوني عن مصير مَن انطووا ... أنا بالعواقب لستُ بالمتكهّن

قالوا وراء الموت أهوالٌ ولم ... أحفل بما قالوا ولم أتيقّن

ولعل هذا الموت مبدأ رحلةٍ ... للروح خالدةً وراء الأزمن

تبني الحياة لها الصروحَ من المنى ... والموت يهدم كلّ ما هي تبتني

في الكون هذا كلُّ شيء ممكنٌ ... إلا البقاء فذاك ليس بممكن

وكأننا صور الخيال لبرهةٍ ... نبدو ونخفى عن شعاع الأعين

الكون عن ماضيه لم ألك راضيا ... والكون عن آتيه لستُ بآمن

فرحٌ بجانبه همومٌ جمةٌ ... هذا منيحةُ دهرك المتلوّن

لابد من موتٍ لمن هو عائشٌ ... فاشجُم إذا قابلته أو فاجبن

إن المنون لرابضٌ مُتحيّنٌ ... ماذا مرادُ الرابض المتحيّن

* * *

أرَبابُ إن الحزن يقتل أهلَه ... أرَبابُ يا ابنة محسنٍ لا تحزني

أرباب صبراً فالحياة فريسة ... والموت ذئبٌ إن سطا لا ينثني

يا بلبل الشعراء مالك صامتاً ... من بعد تغريد بشعرك مُشجن

قد سرتَ قبلي للردى متعجّلا ... ولعلّني بك لاحق ولعلّني

(بغداد) جميل صدقي الزهاوي